20040225.0003-2

المقبرة توقظ ذاكرة ليلة سوداء في كفرحونة

كفرحونة ـ كامل جابر

أشعلت المقبرة الجماعية بجثثها الثماني التي اكتشفت في خراج بلدة مراح الحباس في شرق صيدا ذاكرة ليلة سوداء في بلدة كفرحونة التي تقع في قضاء جزين. ليلة اختفى فيها قبل عشرين عاما، ثمانية من أهل البلدة، بينهم أطفال، ثم كان التهجير.

قبيل منتصف ليل الرابع عشر من آذار سنة ١٩٨٥، حين «دب» أبناء الحي الغربي «الشيعي»، في كفرحونة، الصوت بينهم، عن حريقين يلتهمان منزلي حرب حرب، في وسط الحي، ومحمد علي نصار عند مدخله الشمالي الشرقي.

حفيظ حبحاب (٦٨ عاماً) الذي كان له دكان يبيع فيه قوارير الغاز بجانب منزل حرب حرب يروي: «ركضت، فوجدت الحريق وقد اشتعل في واجهة البيت الأمامية. دخلنا إلى البيت ولم نجد أحداً فيه». لم يكن في البيت قبل الحريق غير جميلة ناصر زوجة المرحوم حرب حرب التي لم تكن قد تجاوزت السبعين في حينه، وولدِها الأصغر احمد البالغ نحو ٢٢ سنة، وكان يعمل في محل لبيع الحلويات في جزين. اختفى الاثنان من البيت وانقطعت أخبارهما».

محمود نعمة (٦٨ عاماً) كسر الزجاج ليتمكن من دخول المنزل الثاني لحمد علي نصّار «حمّادي» المشتعل. يروي نعمة «لم أعثر على أحد فيه، وجدت خبزاً مرقوقاً متناثراً وشعراً متناثراً، بالتأكيد من شعر بناته الأربع اللواتي اختفين مع والديهما».

ويتساءل «ترى ما الذي فعله حمّادي الذي توسط الخمسين في حينه، ويعتاش من فدانه وحليب بقراته؟ أو زوجته الأربعينية؟ أو بناته: فاطمة (١٤ سنة)، وتركية (١٢ سنة) وعلا (١٠ سنوات) وعروبة (٧ سنوات)، أو حتى أرملة حرب وابنها؟ إن حادثة خطف العائلتين وحرق منزليهما، كانت الشرارة الأولى لتهجير الحي الشيعي في كفرحونة!».

راجع الاهالي يومها الراحلين جان عزيز وفريد سرحال في جزين، بعدما تردد تورط «القوات اللبنانية». وفي اليوم التالي حضرت ناقلة جند إسرائيلية، ترجل منها الضابط المسؤول، وسأل الاهالي: «من تتهمون بخطفهم؟ قال لهم محمود نعمة: «أنتم والقوات اللبنانية»، بعدها عزم الأهالي على الرحيل، «فالرسالة قد وصلت» يقول نعمة. يومها تدخل الاهالي المسيحيون في البلدة، وأرسلوا وفدا إلى النادي الحسيني، وطلبوا من الاهالي الشيعة عدم مغادرة البلدة، والبقاء في منازلهم، «فسألناهم هل يمكنكم حمايتنا، أو حماية أنفسكم»؟ ولم يجب احد منهم عن سؤالنا يقول نعمة.

ويقول عضو المجلس البلدي حسام كريّم إن الفاعلين كانوا من خارج البلدة، جاؤوا لتنفيذ مشروع فتنة كبير، في بلدة تميزت بتعايش سكانها وأبنائها.

نعمة امام منزل آل نصار في كفرحونة

لم يسلم من عائلة محمد نصّار غير ثلاثة من أبنائه: كبيرهم علي البالغ حالياً (٤٠ عاماً) لأنه كان مقيما في أميركا، وشقيقاه حسن (٣٨ عاماً) وحسين (٣٦ عاماً) اللذان كانا يعملان في بيروت. ومن عائلة حرب حرب، سلم الشابان عدنان ويحيى وشقيقتهما فريزة، وهم يقطنون حالياً في بيروت.

خبر المقبرة الجماعية، وتشابه عدد الهياكل العظمية التي عثر عليها، مع عدد المفقودين من كفرحونة، أيقظ الذاكرة، لذلك تحركت فاعليات كفرحونة، في مسعى لمعرفة حقيقة الهياكل العظمية المكتشفة!